السنة النبوية
حجيتها والحاجة إليها والحفاظ عليها

أ.د. محمد مبارك السيد

أستاذ بقسم الحديث بكلية أصول الدين

بالقاهرة- جامعة الأزهر

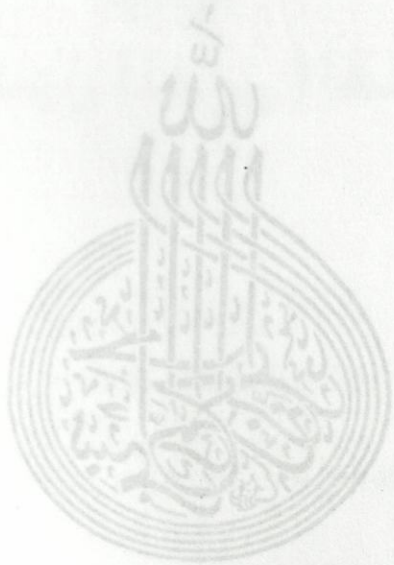

بسم الله الرحمن الرحيم

"السنة النبوية: حجيتها والحاجة إليها والحفاظ عليها"

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد ...

فان السنة النبوية هى المصدر الثانى فى التشريع عند المسلمين ، بعد القرآن الكريم ، والسنة فى اللغة العربية هى الطريقة وقد ورد ذلك فى القرآن ، قال تعالى :
"سنة من قد أرسلنا قبلت من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا " الى غير ذلك من الايات التى ورد فيها لفظ السنة . وهى كذلك بهذا المعنى فى السنة النبوية قال عليه الصلاة والسلام : من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها . وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، . وقال عليه الصلاة والسلام أيضا : " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ " وقال فى خطبة الوداع : تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى " . وقال : " من رغب عن سنتى فليس منى ".

تعريف السنة عند علماء الحديث :

عرف علماء الحديث السنة بأنها : كل ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أوخلقية . كما أن جمهور المحدثين يعتبرون السنة والحديث والخبر والأثر كلها بمعنى واحد . وجميع ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تدخل فى ماورد عنه من قول مثل : نضر الله أمرا سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمعها قرب مبلغ أوعى سامع " (رواه الترمذى).

وأما مايدخل منها فيما ورد عنه من فعل فجميع أمور الاسلام العملية من صلاة وحج وصيام وزكاة وجهاد وغير ذلك . وأما التقرير فيتمثل فى

الأشياء التى فعلت بحضرته ولم ينكر فعلها على فاعلها ومن الأمثلة على ذلك مارواه البخارى فى كتاب الأطعمة

عن ابن عباس أن خالد بن الوليد دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة وهى خالته وخالة ابن عباس فوجد عندها ضبا محنوذا قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قلما يقدم يده لطعام حتى يحدث به ويسمى له ، فأهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الضب . فقالت امرأة من النسوة الحضور : أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقدمتن له ، هو الضب يارسول الله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الضب

.

فقال خالد بن الوليد : أحرام الضب يارسول الله ؟ قال : لا . ولكن لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه . قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى" .

(ج ص ٣٤) من الصحيح بشرحه الفتح . الى غير ذلك من الأمثلة .

وأما مايدخل فى صفاته الخلقية فأمثلته كثيرة ومنها مارواه الامام أحمد يسنده عن عطاء بن يسار قال :

سالت عبدالله بن عمروبن العاص عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة .

فقال: والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن . ياايها النبى انا أرسالناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل . ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الأسواق ولايجزى على السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح . الخ الحديث .

وأما مايدخل فى صفاته الخلقية فمنها مارواه ابوعيسى الترمذى بسنده فى كتاب الشمائل المحمدية عن أنس بن مالك أنه كان يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولابالأبيض الأمهق . ولا بالآدم . ولابالجعد القطط ولابالسبط . الخ الحديث .

حجية السنة :

والأدلة على حجية السنة كثيرة : منها أن العصمة لازمة للرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مايصدر عنه يقول الله تعالى :" ومايَنطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى" وقد ثبت عنه أنه قال : الأ أنى أوتيت

القرآن ومثله معه. الأ يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فماوجتم فيه من حلال فأحلوه ، وماوجدتم فيه من حرام فحرموه ، الأ وان ما حرم رسول الله كما حرم الله . أيحسب أحدكم متكئا على أريكته يظن أن الله لم يحرم شيئا الا مافى القرآن . ألا انى قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء انها لمثل القرآن أو أكثر . ومن الأدلة أيضا : قول الله تعالى :" ومآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فأنتهوا ". من يطع الرسول فقد أطاع الله " ومن يشافق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا".

وفى السنة عن معاذ بن جبل قال : ان الرسول عليه الصلاو والسلام قال له لما بعثه الى اليمين : بم تقضى يامعاذ ان عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى . ولا ألوفضرب رسول الله فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله الى مايرضى الله ورسوله .

والقرآن الكريم يأمرنا بالاحتجاج بالسنة فيقول تعالى : " ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا " ، فالرد الى الله انما يكون بالرجوع الى القرآن . والرد الى الرسول انما يكون اليه فى حياته والى سنته بعد وفاته .

منزلة السنة من القرآن

من المعلوم أن القرآن الكريم قواعد عامة وقوانين مجملة وأحكام . ففيه المجمل وفيه العام . وفيه المطلق وفيه المختصر والموجز وفيه المشكل . فوظيفة السنة هى تفصيل المجمل من القرآن وتخصيص العام ، وتقييد المطلق . وشرح المختصر وبسط الموجز وتوضيح المشكل والله جلت قدره قد نزع صفة الايمان من الذين لا يحتكمون الى الرسول فى كل شىء . فى حياته بالرجوع اليه . وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى يكون الرجوع الى سنته المطهرة يقول تعالى :" فلا ربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر . بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما".

ومن الأمثلة على وظيفة السنة فى مجال العبادات :

أولا : فقد فرض الله فى القرآن على المسلمين الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من أمور الاسلام . ولم يبين عدد الصلوات ولا أركانها ولاشروطها ولاميقاتها . ولاكيفيتها . فجاءت السنة بكل ذلك وبالصلاة الجهرية والصلاة السرية .

وعلمهم الرسول الصلاة وقال لهم : صلوا كما رأيتمونى أصلى ." وكذلك بينت السنة مقادير الزكاة وأنواعها وشروطها . وبينت كيفية الصيام وآدابه وبينت طريقة آداء مناسك الحج وعلمهم الرسول المناسك وقال : خذوا عنى مناسككم " . وكذلك وضحت الأمور التى جاءت فى القرآن واحتاجوا فيها الى توضيح من الأمثلة على ذلك : لما نزل قوله تعالى : " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ". قال الصحابة وأينا لم يظلم نفسه ؟

فوضح لهم الرسول أن المراد بالظلم فى الآيه الشرك

ثانيا : وفى مجال المال : لما نزل قوله تعالى : " والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله نبشرهم بعذاب أليم " . فهم الصحابه أن عليهم انفاق كل مافى أيديهم زائد عن حاجتهم . فوضح لهم الرسول أن المال المكتنز هو الذى وجبت فيه الزكاة ولم تخرج منه . وكذلك حددت آية الفرائض حقوق الورثة ولكنها لم تتعرض لتوريث الكافر من المسلم والاالعبد من الحر ولا القاتل من قتيله . فجاءت السنة بمنع توريث الكافر من المسلم والعبد من الحر والقاتل من قتيله ..

ثالثا: فى مجال الجنايات : نظم القرآن الكريم حدود القصاص فى قوله تعالى :

"يايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وآداءاليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ". وبينت السنة أنه لايقتل مسلم بكافر فقال عليه الصلاة والسلام : "ألا لا يقتل مسلم بكافر".

وكذلك حددث سورة المائدة حكم السرقة فقال تعالى :" والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزءا بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " ، وبينت السنة نوع اليد التى تقطع ومكان القطع ومقدار المال التى تقطع له اليد

وشروط المال المسروق ، وبينت أن اليد هى اليمنى ، والمقدار ربع دينار وشروط المال . أن يكون سرق من حرز مثله . الى غير ذلك فى الديات وغيرها من باب الجنايات .

رابعا: فى مجال الأسرة : ذكر القرآن الكريم المحرمات من النساء فى قوله تعالى : " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم .. الخ " وألحقت السنة بالمحرمات حرمة الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وقال الرسول : فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم ". وحرم سائر القرابات من الرضاعة مثل العمة من الرضاعة والخالة من الرضاعة وغير ذلك وفى الحديث :" ان الله حرم من الرضاعة ماحرم من النسب " ففى كل مجال من مجالات الأسرة فى القرآن أضافت له السنة أحكاما وزيادة على مافى القرآن وفى ذلك توضيح للقرآن .

خامسا: فى مجال المطالب اليومية : نعلم أن الله أحل الطيبات . وحرم الخبائث وذلك من صفات النبى الأمى فى التوراة والانجيل . ففيها : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم . وبينت السنة المطهرة حكم مالم يرد فى القرآن فقد جاء فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم : " نهى عن كل ذى ناب من السباع . ومخلب من الطير ، ونهى عن أكل لحم الحمر الأهلية . وقال : انها رجس .

كما حرم الله فى القرآن بعض المطعومات فى قوله تعالى :" حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير ومأأهل لغير الله والمخنفة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السع الاماذكيتم وماذبح على النصب . -الآية من سورة المائدة.

فبينت السنة النبوية أن ميته البحر حلال وميتة الجراد حلال وبينت حل أكل الكبد والطحال رغم انهما من الدم فقال عليه الصلاة والسلام : " أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال . وقال عن البحر: هو الطهور ماؤه الحل ميتته ..... الى غير ذلك من جميع أمور الحياة التى يحتاج الناس فيها الى السنة المطهرة منذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام الى عصرنا الحاضر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولايمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال . اذا أراد الناس حياة الطهارة وحياة السعادة والحل لجميع مشكلاتهم .

منهج الصحابة فى الحفاظ على السنة :

التزم الصحابة والمسلمون يقول النبى صلى الله عليه وسلم :" ألا فليبلغ الشاهد الغائب " فبلغوا كل ماورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام . ملتزمين بالصدق حتى لايكونوا من الكاذبين وقد سمعوا من الرسول قوله :" من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" . وكانوا يلتزمون التحرى والدقة عند روايتهم للحديث أوسماعهم له .

من الأمثلة على ذلك أن امرأه جاءت الى أبى بكر تلتمس أن تورث . قال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئا وماعلمت أن رسول الله ذكر لك شيئا . انتظرى حتى أسأل الناس .

فلما صلى الظهر سأل الناس فقام المغيرة بن شعبة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس . فقال : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك . فأنفذه لها . وهذا مبدأ اشتراط الشاهد عند الرواية . وكذلك كان عمر رضى الله عنه عندما يروى له حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يطلب البينة . عند الارتياب وارادة التثبت حدث هذا فى قصة ابى موسى الأشعرى فى حديث الاستئذان وأراد عمر الاستثبات خشية أن يكون ابوموسى دفع بحديث الاستئذان عن نفسه عند ماتوعده وأنكر عليه رجوعه .

ونص الحديث كما فى الصحيح للبخارى رحمه الله تعالى . الذى أخرجه بسنده المتصل

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : كنت فى مجلس من مجالس الأنصار اذ جاء أبوموسى كأنه مذعور ، فقال : استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت فقال : مامنعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع . فقال : والله لتقيمن عليه ببينه . أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبى بن كعب . والله لايقوم معك الا أصغر القوم . فكنت أصغر القوم . فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلت . (صحيح البخارى بشرحه فتح البارى ، ج ١١ ، ص ٢٧).

وفى الصحيح للامام مسلم :" كنت جالسا بالمدينة " فى حلقة فيها أبى بن كعب وكان عمر أرسل اليه فأستأذن عليه ثلاثا فلم يؤذن له . وكأنه كان مشغولا فرجع أبو موسى ففرغ عمر . فقال : ألم أسمع صوت عبدالله بن

قيس ؟ ائذنوا له . قيل : انه رجع ، فقال : على به فلما جاء سأله عن سبب رجوعه المذكور فى الحديث . وقد زعم قوم أن عمر كا لايقبل خبر الواحد بدليل هذا الحديث . ولاحجة فيه لأنه قبل خبر ابى سعيد المطابق لحديث أبى موسى ولايخرج عن كونه خبر واحد .

وفى بعض الروايات أن عمر قال لأبى موسى : أما انى لم أتهمك ، ولكنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأردت أن أتثبت . وهذا نوع من الجهود التى بذلها الصحابة للحفاظ على سنة رسول الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مثال ثالث لبيان صيانة السنة والحفاظ عليها :

روى الامام الحميدى بسنده فى أول حديث فى مسنده عن أسماء بن الحكم الغزارى أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به ، وكان اذا حدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته ، وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : مامن عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين . ثم يستغفر الله الا غفر الله له .

كل هذا لم يكن لفقدان الثقة بالصحابة ولكن صيانة لها من العبث أو التساهل فيها والتحرى والدقة والتأكد لكل مايقال حتى لايدخل فيها ما ليس منها .

الرحلة فى طلب الحديث :

أخرج البخارى رحمه الله تعالى عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه ، فابتعت بعيرا وشددت عليه رجلى ثم رحلت اليه شهرا ، حتى قدمت الشام ، فاذا هو عبدالله بن أنيس الأنصارى فأتيته فقلت له : حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المظالم لم اسمعه منه . فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الناس عزلا بهما . قلنا مابهما ؟ قال : ليس معهم شىء فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان : لاينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار. وأحد من أهل الجنة عنده مظلمة . حتى أقصها منه . لاينبغى لأحد من

أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقصها منه . حتى اللطمة . قلنا كيف ؟ وانما نأتى غرلا بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات .

وروى البيهقى فى الشعب وابن عبدالبر عن عطاء بن رباح أن ابا ايوب الانصارى رحل من المدينة الى مصر فنزل على مسلمة بن مخلد فألقاه نائما . فقال : أيقظوه . قالوا : بل نتركه حتى يستيقظ . قال : لست فاعلا . فأيقظوا مسلمة له . فرحب به . وقال له : انزل . قال : لا . حتى ترسل الى عقبة بن عامر لحاجة لى اليه . فأرسل الى عقبة فأتاه . فقال : هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من وجد مسلما على عورة فستره فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ؟ فقال عقبة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . وعقبة هذا كان فى ذلك الوقت أميرا لمصر . ورحل ذلك الأنصارى من فوره . ولم تلحقه جائزة عقبة الا عند العريش على حدود مصر .

ورحل سائر المحدثين لطلب الأسانيد العالية أو المذاكرة مع العلماء وأصبحت الرحلة فى طلب الحديث سنة عند المحدثين . وكانوا يعتبرون الذى لم يرحل من بلده ويسمع علماء البلاد الأخرى غير عالم وغير محدث . وقد ألف الخطيب البغدادى كتابا فى رحلة العلماء من أجل الحديث سماه " الرحلة فى طلب الحديث ".

وبلغت جهود العلماء للحفاظ على الحديث والسنة أن وضعوا قواعد وشروط الرواية للحديث ترتب عليه ظهور مادة علوم الحديث بأنواعه التى قاربت المائة علم .

وتوصلوا الى موازين وقواعد لمعرفة الصحيح من غيره . لم تحدث لأمة غير الأمة الاسلامية الى الآن والى قيام الساعة .

حجية خبر الآحاد:

لايمكن انكار الأحاديث بحجة أن معظمها أخبار آحاد فقد اتفق علماء الحديث على أن رواية الواحد عن الواحد صحيحة الى النبى صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك أن البخارى رحمه الله تعالى . افتتح كتابه الجامع الصحيح بخبر الآحاد فى حديث :" الأعمال" بل هذا الحديث خبر الاحاد من نوع الغريب وهو الذى رواه واحد من الصحابة فقط . قال البخارى : حدثنا الحميدى عبدالله بن الزبير قال : حدثنا سفيان قال :

حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى . قال: أخبرنى محمد بن ابراهيم التيمى أنه سمع علقمة بن وقاص الليثى يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى " فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أوالى امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه فهذا الحديث انفرد به عمر عن رسول الله . وقبول خبر الواحد والعمل به وحجيته مذهب المحدثين وأهل السنة والجماعة . وقديما انكرت فرقة المعتزلة خبر الواحد الأمر الذى جعل الأمام البخارى يجعل لخبر الواحد كتابا خاصا فى جامعه الصحيح سماه " كتاب أخبار الآحاد" يرد به على المنكرين ويبين مذهبه ومذهب أهل السنة والجماعة فى حجية الحديث الذى رواه العدل الواحد ووجوب العمل به . وذكر الأحاديث الآحادية التى عمل بها الصحابة ومن بعدهم .

قال ابن حجر فى الفتح : وقع فى بعض النسخ للصحيح " كتاب خبر الواحد" بالافراد ، ثم عمل البخارى ترجمة أخرى فقال :" باب ماجاء فى اجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام " وذكر فى هذا الباب أربعة عشر حديثا لك للدلالة على صحة خبر الواحد وقبوله والعمل به . (ج ١٣ ، ص ٣٣١ من فتح البارى).

من هذه الأحاديث حديث مالك بن الحويرث قال مالك : أتينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن شبة متقاربون . فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقا . رحيما فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا . سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه . قال : ارجعوا الى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا كما رايتمونى أصلى ، فاذا حضرت فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم . فهذا الحديث دليل على قبول خبر الواحد الصدوق فى الآذان والصلاة .

الحديث الثانى فى قبول خبر الواحد الصدوق فى الآذان والصلاة والصوم رواه البخارى عن ابن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايمنعن أحدكم آذان بلال من سحوره فانه يؤذن بليل ليرجع قائمكم وينبه نائمكم.

كما أن تحويل القبلة الى الكعبة عمل عظيم من أهم الأعمال فى الاسلام وحول الناس فى صلاتهم اليها بحديث الواحد الصدوق . روى البخارى بسنده عن ابن عمر أنه قال : بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم

آت . فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليله قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة . فأستقبلوها . وكانت وجوههم الى الشام . فأستداروا الى الكعبة .

كما أن الاصحابة أمتنعوا عن شرب الخمر بخبر الواحد . أخرج البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنت أسقى ابا طلحة الأنصارى وابا عبيدة بن الجراح وأبى بن كعب شرابا من فضيح وهو تمر ، فجاءهم ات . فقال : ان الخمر قد حرمت . فقال أبو طلحة : يا أنس قم الى هذه الجرار فأكسرها . قال أنس : فقمت الى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت .

وحديث التناوب فى العلم:

الذى أخرجه البخارى أيضا بسنده عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم قال :

وكان رجل من الأنصار اذا غاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدته أتيته بما يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم . واذا غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أتانى بما يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول ابن حجر : ويستفاد من هذا الحديث أن عمر طبق مبدأ التناوب فى العلم . وأنه كان يقبل خبر الشخص الواحد . وقد نقل بعض العلماء لقبول خبر الواحد ، أن كل صاحب وتابع سئل عن نازلة فى الدين فأخبر السائل بما عنده فيها من الحكم . فيعمل بمقتضاه ولاينكر عليه ذلك . فدل على اتفاقهم على وجوب العمل بخبر الواحد .

يبعث الأمراء والرسل واحدا بعد واحد :

وفى باب ماكان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم من الأمراء والرسل واحدا بعد واحد . ذكر البخارى عدة أحاديث تبين أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يرسل الرسل والأمراء الى الملوك والعظماء ، فرادى ، ذلك ليبين فيه أن العمل بخبر الواحد . انما هو من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد سبق البخارى فى هذا الشافعى فقال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سراياه . وعلى كل سرية واحدا ، وبعث رسله الى الملوك الى كل ملك واحدا . ولم تزل كتبه تنفذ الى ولاته بالأمر والنهى . فلم يكن أحد من ولاته يترك انفاذ أمره . وكذا كان الخلفاء بعده .

وقد استوعب أمراء السرايا محمد بن سعد فى " لترجمة النبوية" وعقد لهم بابا سماهم فيه على الترتيب فى كتاب الطبقات الكبرى ، وكذا استوعب "

رسله الى الملوك" فى كتابه الطبقات . وأفردهم بعض المتأخرين فى جزء تتبعهم من كتاب " أسد الغابة فى معرفة الصحابة " لابن الأثير المبارك أبو السعادات.

وفود العرب:

وذكر البخارى فى كتاب أخبار الآحاد فى باب وفود العرب حديثا عن مالك بن الحويرث أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم .

وهؤلاء الوفود آحاد من العرب وفدوا على رسول الله ليتعلموا الإسلام. فأمرهم الرسول أن يبلغوا قومهم بما تعلموه من الاسلام من النبى صلى الله عليه وسام . سواء كان ذلك فى العقيدة أو فى العمل أو فى الحكام . كل ذلك يؤيد العمل بالسنة سواء كانت متواترة أو غير متواترة بشروط أن يكون راوى الحديث عدلا ضابطا لما يرويه .

وهذا هو رأى جماهير أئمة الحديث والفقه من المسلمين وأهل السنة .

الحفاظ على السنة :

وجهود العلماء للحفاظ على السنة قديمة ومستمرة فى كل زمان ومكان فى بلاد الاسلام ومنها كتابة الأحاديث فى صحائف ثم فى مصنفات كبيرة ثم فى مسانيد جامعة ثم كانت مرحلة تدوين الصحاح التى ظهرت فيها الكتب الستة أعظم ما ألف فى القرن الثالث الهجرى فقد ظهر فيها الصحيحان صحيح البخارى وصحيح مسلم وحفظت بذلك سنة النبى صلى الله عليه وسلم وتلقت الآمة الاسلامية هذه المؤلفات والجوامع والسنن بالقبول ، وظهرت بجوار كتب الستة مؤلفات فى رجالها وتاريخها ومؤلفات فى علم الجرح والتعديل وظهرت كتب الطبقات والتراجم والرجال وكتب الثقات والضعفاء والمجروحين والتروكين والمدلسين وكتب الموضوعات وعرفت الأحاديث الصحيحة وميزت عن الأحاديث الضعيفة والمكذوبة كل ذلك ظهر بتوفيق الله للعلماء المخلصين من أهل الحديث . وحفظ الله بذلك سنة نبيه كما حفظ الله القرآن الكريم .

حاجة العالم الآن الى السنة النبوية :

ومما لاشك فيه أن العالم الآن فى حاجة الى السنة النبوية المطهرة لتحل له مشكلاته وكثير من المشكلات لها حل فى أحاديث الرسول وسنته بجوار القرآن الكريم .

والأيام تثبت هذا يوما بعد يوم ، والبحوث المختلفة التى تجرى هنا وهناك عن كل فروع الحياة تثبت حاجة البشرية الآن الى الاسلام . وتقر ماجاء فى القرآن وفى السنة النبوية من أحكام وآداب وأخلاق واقتصاد وسياسة وعقائد الى غير ذلك مما تتطلبه الحياة الانسانية . فالاسلام بسنته النبوية كفيل بحل مشكلات العالم اليوم . فعلاج المشكلات الاقتصادية نجد لها حلا فى نظام الاقتصاد الاسلامى بأنواعه المختلفة . وعلاج التدهور الأخلاقى يكون بالرجوع الى أخلاق النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى وصفه ربه بقوله :" وانك لعلى خلق عظيم".

وعلاج المشكلات الصحية تكون باتباع الطب النبوى وقواعد الصحة والطهارة التى جاءت بها الأحاديث الكثيرة فى السنة النبوية .

ومشكلات الأسرة وتربية الأولاد لايكون لها آثار سيئة لو التزم الناس بالمنهج الالهى للأسرة الذى جاء فى القرآن الكريم وفى السنة موسعا مفصلا بما يناسب الفطرة الانسانية ولايعارضها ، وكذلك قواعد الحرب والسلام وآداب الحروب وغيرها .

والأنسانية اليوم فى حاجة الى الاسلام الذى يعتمد فى أهم مصادره على القرآن الكريم والسنة النبوية كما قال النبىعليه الصلاة والسلام :" تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى "، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ". وكما قال الله تعالى أيضا :" قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

وفق الله المسلمين للعمل بالاسلام " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

أ.د . محمد مبارك السيد
استاذ بقسم الحديث بكلية أصول الدين
بالقاهرة -جامعة الأزهر